

الفصل العشرون

بونابرت والوعد الأول

obeikandi.com

الفصل العشرون:

بونابرت والوعد الأول

آمال الخزامي

عادى بونابرت اليهود، لكنه كان أول مسئول كبير غربي، في العصر الحديث، نادى بوطن قومي لليهود في فلسطين.

لقد مرت الفكرة الصهيونية بمرحلتين، أولاهما ما قبل عام ١٨٩٧، حيث كانت الصهيونية في طور التكوين الفكري. ومرحلة ما بعد عام ١٨٩٧م، عندما أخذت الصهيونية شكلها التنظيمي، لتحقيق توصيات المؤتمر الصهيوني الأول، المنعقد في مدينة بال السويسرية، صيف عام ١٨٩٧. ومن هنا وجد بعض بناء الإمبراطوريات في الغرب الاستعانة باليهود، بإثارة الشعور الديني لدى اليهود، والرغبة في " العودة إلى فلسطين"، لتدعيم مصالح الغرب في المنطقة العربية^(١).

نوقشت " المسألة اليهودية"، إبان الثورة الفرنسية، هل اليهود فرنسيون أم أنهم أمة داخل أمة؟ وعزف أعداء اليهود على وتر " الخطر اليهودي"، وأن اليهود جسم غريب منبوذ، يجب التخلص منه. وطرح آخرون اندماج اليهود، وأعطائهم حقوقهم، بشرط التخلي عن خصوصيتهم اللغوية، والثقافية، والإثنية، في الحياة العامة. ليصبح اليهودي مواطناً في الشارع، يهودياً في منزله، ومنعت الجامعة اليهودية من ممارسة بعض شعائرها، في عام ١٧٩٣ -

١٧٩٤، باعتبار هذه الشعائر لا تتفق مع العقل. (٢)

قادة الثورة الفرنسية يكرمون اليهود:

قامت الثورة البرجوازية الفرنسية، عام ١٧٩٢م، ضد تحالف الكنيسة مع الإقطاع، ومن شعاراتها " اسنقوا آخر إقطاعي بأمعاء آخر قسيس "، نتيجة ظلم الكنيسة الكاثوليكية، المتعاونة مع الإقطاع، فقد تحالفت القوى التي تعرضت لهذا الظلم، من أجل القضاء عليه، ومن أبرز هذه القوى اليهود.

مؤل الرأسماليون اليهود الثورة الفرنسية، وساعدوا على نجاحها، من خلال محافلهم الماسونية، التي استطاعت أن تجعل شعاراتها هي نفسها شعارات الثورة الفرنسية؛ " الأخاء، والحرية، والمساواة "، لمقاومة الحصار العنصري الذي فرضته الكنيسة الكاثوليكية على اليهود، وشعار " دعه يعمل، دعه يمر "، لمقاومة منع تنقل اليهود، ووضعهم في مجتمعات مغلقة (الغيتو) (٣).

نتيجة لذلك، أعطى قادة الثورة الفرنسية لليهود مكانة خاصة، ومحووا عنهم آثار الاضطهاد الكاثوليكي (٣).

بدأت الدبلوماسية الفرنسية، منذ عام ١٧٩٥، بإعادة الجسور مع الشرق، فواصلت الجمعية التأسيسية الجهود السابقة للنظام الملكي، بتزويد فرنسا ب مترجمين أكفاء، عن طريق تأسيس مدرسة اللغات الشرقية الحية، وفي العام نفسه جاء اعتراف السلطان العثماني بالجمهورية الفرنسية، وقدم مشروعًا للتحالف من قبل القائم بالأعمال، فيرنينال، في عام ١٧٩٦،

وخلفه، أوبير - دوبيس، مصحوبًا ببعثته العسكرية والتقنية، وهكذا حظيت فرنسا بالصدقة العثمانية، وأصبحت الظروف مواتية لبونايرت، وحملته (٤).

ولكن من هو بونايرت؟!

ولد بونايرت، في ١٥ أغسطس/آب ١٧٦٩، من أسرة تتحدر من أصل إيطالي، في مدينة اجاكسيو، عاصمة مدينة كورسيكا، التابعة لجمهورية جنوى، التي استولت عليها فرنسا، عام ١٧٦٨، أي قبل ولادة بونايرت بسنة، فهو إيطالي الأصل، فرنسي المولد.

تلقى بونايرت دروسه الأولى في مدرسة اجاكسيو، ثم التحق بمدرسة بريين الحربية بفرنسا، ثم مدرسة باريس الحربية، عام ١٧٨٤، وانتظم في سلك المدفعية، والتحق بالجيش، بعد تخرجه. وإبان الثورة الفرنسية، انضم بونايرت إليها، وبعد أن أعلنت فرنسا الحرب على النمسا، ثم على إنجلترا، وهولندا، وأسبانيا، أحاطها الأعداء من كل جانب، واحتل الإنجليز طولون، ميناء فرنسا البحري، على البحر الأبيض المتوسط، عام ١٧٩٣. وقد أظهر بونايرت نبوغه الحربي في حصار طولون، واسترجاعها، وعيّنت الحكومة الفرنسية بونايرت قائدًا للجيش الفرنسي في حرب إيطاليا، ١٧٩٦ (٥).

عاد بونايرت منتصرًا من إيطاليا، في ديسمبر / كانون الأول ١٧٩٧، وكانت حكومته قد عيّنته لقيادة الجيش المجمع على الساحل الإنجليزي، تمهيدًا لغزو الجزر البريطانية، وبعد جولة تفتيشية سريعة في مناطق تنفيذ الغزو، في فبراير/ شباط ١٧٩٨، كتب بونايرت تقريرًا

لحكومته، عن نقص الموارد العسكرية والمالية، نقصًا شديدًا، وشدد بأن على فرنسا الاختيار بين ثلاثة، عقد صلح مع إنجلترا، أو غزو هونوفا، بدلاً من الجزر البريطانية، أو الاستيلاء على مصر، فتقطع بذلك شريان الحياة بين بريطانيا وبين الهند، واستقر رأى حكومة باريس على الخيار الأخير^(٦).

قدّر بونابرت موقع مصر الفريد، فهو معبر مطل على البحر الأبيض، النفاذ من جبل طارق، إلى الأطلنطي فالولايات المتحدة، كما تطل مصر على البحر الأحمر، الذي يمكن وصله بالبحر الأبيض، الذي يتدفق بمياهه، جنوبًا، حتى يدخل إلى بحر العرب، عند عدن، ويمتد إلى المحيط الهندي، ثم إلى المحيط الهادي. وأيضًا، هو بلد على رأس أفريقيا، وكتف آسيا. أرضه تصلح بطبيعتها السهلة، ومواردها الزراعية، لأن تكون قاعدة لجيش كبير، بأقل، ويسكن، ويستعد في أمان. فالاستيلاء عليها مقدمة ضرورية للتوسع الإمبراطوري، إلى الهند، ويتصدى لبريطانيا، ويتحدى سيطرتها على التجارة، والبحار^(٧). فاحتلال مصر كان يؤمن لفرنسا إمكانية تهديد طريق الهند عن طريق البحر الأحمر، والخليج العربي، ويتيح لها أن تستعيد المواقع التجارية الراسخة في بلاد المشرق، وتعوّض عن فقدان جزر الأنтил، التي احتلتها بريطانيا^(٨).

أيقن بونابرت أهمية سوريا، أيضًا، ورأى بأن اتصالها غير قابل للانفصال عن مصر، فهما يشكلان زاوية قائمة، ضلعها الجنوبي مصر، الذي يتأثر به بالعرض الساحل الشمالي لأفريقيا، وبالطول إلى الجنوب، حتى منابع النيل، وسوريا ضلعها الجنوبي، على حدود بلاد العراق،

وشبه الجزيرة العربية، والخليج، والطريق إلى بلاد فارس، والهند.

وعى بونابرت الدرس ممن سبقوه من الفاتحين، لأهمية مصر وسوريا، فضلاً عن التكامل بينهما الذي لو تحقق، كما حدث من قبل خلال حروب الفرنجة، لأصبح قادرًا على صنع قوة ذاتية، تشجع على الانفلات من قبضته، وتواجهه بما لا يتحسب له، حيث أن كلا ضلعي الزاوية، في بحث مستمر عن الضلع الآخر، بصرف النظر عن متغيرات الظروف، والعصور. هكذا تبلورت الرؤية الاستراتيجية لبونابرت، فلكي يحقق أحلامه كان عليه أن يسيطر على الضلع الجنوبي لزاوية البحر الأبيض الشرقية، مصر، فأنزل جيوشه إليها. ويؤمن سوريا الضلع الثاني، وهو يزحف عليها. ولعدم التقاء الضلعين، عربيًا وإسلاميًا، فكان لابد أن يبحث بونابرت عن مركز الزاوية، وهي فلسطين، ويزرع فيه جسمًا آخر، ليس عربيًا، ولا إسلاميًا، فتفتق ذهن بونابرت عن إنشاء " وطن قومي " لليهود، يكون ضمانيًا إضافيًا. وجاءت ورقة اليهودية تصورًا للمستقبل، ورؤية قابلة للتحقيق، حتى بعد أن أصبح إمبراطورًا لفرنسا، كانت مصر، " وفكرة الوطن اليهودي " العازل، لا تزال تدور بخذه، فدعى، سنة ١٨٠٧، إلى عقد مجمع يهودي في سانهردين لكل يهود أوروبا، ممثلين في رؤساء طوائفهم، وكبار حاخاماتهم، لثم شمل اليهود، ونص أحد قرارات المجمع على " ضرورة إيقاظ وعى اليهود إلى حاجتهم للتدريب العسكري، لكي يتمكنوا من أداء واجبهم المقدس، الذي يحتاج إليه دينهم " (٩).

يعد بونابرت أول من دعا لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، في

العصر الحديث، وأول غاز غربي للشرق العربي في العصر الحديث.

الجدير بالذكر أن بونايرت كان معادياً لليهود، كما يدل على ذلك سجله في فرنسا، كما لا يمكن الحديث عن وجود لوبي يهودي، أو صهيوني في فرنسا، وحين أطلق بونايرت دعوته، بل كان ذلك نابغاً من إدراك بونايرت للمصالح الاقتصادية والاستراتيجية للبرجوازية الفرنسية^(١٠). حيث ورد في مذكرات بونايرت، التي أملاها في منفاه، سانت هيلين، أنه حين عزم على تنفيذ مشروع حملته على مصر كان يقصد إنشاء دولة مشرقية كبيرة، وبنوي، بعد توطيد مركزه في مصر، غزو الهند، وقدر وصوله إليها، شهر مارس/آذار ١٨٠٠^(١١).

تعتبر حملة بونايرت على مصر، التي أسماها " حملة النيل "، بداية لعملية وراثة الخلافة العثمانية، والزحف منها إلى فلسطين، والشام، نادى بونايرت أنه الصديق الصدوق لخليفة المسلمين العثماني، وأنه الحريص على تثبيت سلطنة المهدي من المماليك في الداخل، أو الملوك المسيحيين في الخارج، ووصل ببونايرت الأمر إلى حد ادعائه اعتناق الإسلام^(١٢).

بونايرت في مصر:

في ١٩ مايو / آيار ١٧٩٨، أقلعت الحملة الفرنسية من ميناء " طولون "، واستولى بونايرت على مالطة، في ١ يونيو/ حزيران ١٧٩٨، ودخل الإسكندرية، في ٢ يوليو/ تموز ١٧٩٨^(١٣). ومع أخذ بونايرت بتحذير قولني، إذا أراد الاستقرار في مصر، فإن عليه شن ثلاث حروب، الأولى ضد إنجلترا، والثانية ضد الباب العالي، والثالثة - وهي أصعبهم - ضد المسلمين. إلا أن بونايرت قرر محاولة اجتذاب المسلمين، بدلاً من

محاربتهم، وذلك قبل أن يقلع بونايرت بحملته، فجهر بونايرت بعقيدته الدينية، عندما أصدر بياناً، وقت نزوله من السفينة في الإسكندرية، جاء فيه، بعد البسملة والتوحيد بالله! إنه من طرف أمير الجيوش الفرنسية، بونايرت، الذي جاء ليخلص حقهم من الظالمين، المماليك، وليس للقضاء على دولتهم ودينهم، وهو يحترم الدين الإسلامي والنبى ﷺ والقرآن الكريم.

توجة بونايرت إلى القاهرة، بحملته، التي حرص على إضفاء البعد العلمى والفنى عليها، فجاء مع الحملة بحوالى ١٦٧ مدنياً، علماء في الرياضيات، والفلك، والعلوم الطبيعية، وهندسة المناجم، والهندسة المدنية، والمعمارية، والإنشائية، والجغرافيا، والرسم والنحت، فضلاً عن فنيين بارود ومتفجرات، وأدباء، وسكرتارية، ومترجمين، وشئون صحية، كما حمل الجيش معه مواد للطباعة بثلاث لغات، الفرنسية، والعربية، واليونانية، ومعملا كيميائيا، ومكتبة فيزياء، ومكتبة تاريخ طبيعى، ومرصد وتجهيزات كاملة لصناعة المناطيد، ولقيادتها.

بوصول بونايرت إلى القاهرة، في ٢٤ يوليو/ تموز ١٧٩٨، أصدر بياناً رسمياً باللغة العربية، جاء فيه. " يا أيها المصريون، إننا حضرنا بقصد إزالة المماليك، الذين يستعملون الفرنسية بالذل والاحتقار، وأخذ مال التجار، ومال السلطان. أما المشايخ، والعلماء، وأصحاب المرتبات، والرعية، فيكونون مطمئنين، وفي مساكنهم مرتاحين " (١٤).

يتضح أن رسائل بونايرت الإسلامية هذه حيلة سهلة لخداع المصريين جميعاً، العامة، والعلماء من مشايخ الأزهر، وتم خداعهم،

بالفعل، وصدّقوه، ربما لضيقهم من حكام المماليك، أو لعجزهم عن حماية ديار الإسلام، وديارهم. فقد كتبت تلك الرسائل الإسلامية، وطبعت مع الرسالة الخاصة باليهود، وطبعت جميعها قبل أن تقلع الحملة الفرنسية من موانئها، وحرص بونابرت على عدم إعلانه عن الرسالة الموجهة لليهود، إلا عند دخوله فلسطين، لكي لا تؤثر على رسائله للمسلمين^(١٥).

حملته على فلسطين:

ظلت فلسطين، منذ فجر التاريخ، مطمعا لجميع الفاتحين، والمستعمرين، سواء كانوا آسيويين، أو غربيين، كالإسكندر، وبومبي، وغودفري، وقلب الأسد، وبونابرت^(١٦).

تعتبر تلك الحملة بداية تنفيذ استراتيجية بونابرت، التي جاء من أجلها، حيث الوصول للهند، ودعم العناصر النائرة على الحكم البريطاني هناك، وإنزال الهزيمة في أثمن جوهرة في إمبراطورية عدوته، بريطانيا، وأيضا التوغل في أملاك الدولة العثمانية، والسيطرة عليها، ثم القسطنطينية، والبلقان، والنمسا، فيهزم الدول المتألية ضد فرنسا، حتى يصل إلى باريس.

ثمة أسباب أخرى ظاهرة، أعاد إليها بونابرت حملته على فلسطين، عندما حاصره الأسطول الإنجليزي، وتحالف العثمانيون مع الإنجليز، واحتلت جيوش العثمانيين العريش، بقيادة أحمد باشا الجزار، هنا كانت الذريعة الفرنسية، "صد الجزار وجنوده عن الأراضي المصرية".

جمع بونابرت زعماء البلاد المصريين، وأخبرهم بطريقته اللبقة، أنه ذاهب ليحارب إبراهيم بك وأتباعه في سوريا، دون السلطان، وحثهم من أعمال الشغب، ملوِّحا لهم بعقابه الشديد، لو حدث، ومكافأته لهم، إذا أخلدوا للسكينة، وأصدر بونابرت منشورا باللغة العربية، قضى بالعفو عن المذنبين في ثورة القاهرة الأولى، وأمر بإعادة الديوان الخصوصي، لتسهيل مصالح الشعب^(١٧).

توجه بونايرت بحملته إلى فلسطين، بعد انتصاره على المماليك، ودخوله القاهرة، في ٢١ يوليو/تموز ١٧٩٨، والقضاء على ثورتها، في ٢١ أكتوبر/تشرين الأول ١٧٩٨. تألف الجيش الفرنسي المتجه إلى فلسطين، بقيادة بونايرت، من أربع فرق: فرقة الجنرال كليبر، وضمت ١٤٩٩ مقاتلاً، وفرقة الجنرال بون، وضمت ٢٤٤٩ مقاتلاً، وفرقة الجنرال لان، وضمت ٢٩٢٤ مقاتلاً، وفرقة الجنرال رينيه، وضمت ٢١٦٠ مقاتلاً، أضيف إليهم ٨٠٠ عنصر من الفرسان، بقيادة الجنرال مورا، و ٣٢٠ من سلاح الهندسة، بقيادة الجنرال كافاريلي، ١٣٨٥ من سلاح المدفعية، بقيادة الجنرال دومارتان، فضلاً عن ٤٠٠ الإدلاء، الراجلين، وراكبي الخيول، و ٨٨ من الهجاة، وبلغ مجموع رجال الحملة ١٢٩٤٥ مقاتلاً^(١٨).

ادعى بونايرت إهانة الجزار لمبعوثه، الذي عرض عليه إقامة علاقات حسنة بين الطرفين، وتحسين التجارة بينهما، فأرسل بونايرت فرقة استطلاعية، في ٣٠ يناير/كانون الثاني ١٧٩٩، بمهمة استطلاع. وأعدت قافلة من ١٥٠٠ جمل، لحمل المؤن من القاهرة، وأمر فرقة كليبر بمغادرة دمياط إلى قطية، وأعد أسطولاً من السفن في الإسكندرية، لنقل مدفعية الحصار الثقيلة، التي استولى عليها الإنجليز، فيما بعد، قرب يافا. احتل بونايرت قطية، لتوفير المياه، ثم اتجه إلى العريش، التي تشكل نقطة الحدود بين مصر وبلاد الشام، التي أقام فيها الجزار، حامية من ١٥٠٠ مقاتل من المماليك والمصريين، والمغاربة^(١٩).

كان كليبر وفرقته طليعة الجيش الفرنسي، تسلفت كتيبة من فرقته إلى

معسكر العريش، فقتلت خمسمائة من الأهالي والجنود، وهم نائمون في ليلة رمضان بالسلح الأبيض، وأخذوا باقي الأهالي أسرى، بعد أن استيقظوا من نباح كلاب المعسكر. ولولا ذلك لذبحوا جميعًا. ويصف بونابرت هذا الهجوم بأنه أجمل العمليات الحربية التي يتصورها العقل! (٢٠).

احتل كليبر ورينيه العريش، عدا قلعة العريش، وفي ١٠ فبراير/شباط ١٧٩٩، استقل بونابرت بعض السفن، وضم إليها ٢٠٤٠٠ مقاتل، ودخل العريش، وأصدر منشورا، أعلن فيه صداقته للعثمانيين، وحرصه على بقاء المسلمين، ومساجدهم، بعيدة عن الاعتداء، وطلب مساعدة السوريين له، واتبعه بمنشور آخر للمصريين، أخبرهم بمثل العريش له، وأنه اغتتم منها أرز، وبقسماط، وشعير، وثلاثمائة رأس من الخيل، والجباد، والجمال (٢١).

بعد سبعة أيام من حصار العريش، وجرح وقتل مائتين وثلاثمائة من الفرنسيين، التحق ٤٠٠ من المغاربة الأسرى بجيش بونابرت، وجرى الباقي من السلاح، وأرسلوا إلى مصر. ثم تبدل ترتيب الفرق، فيما بعد العريش، فأصبحت فرقة كليبر في المقدمة، يرافقها الفرسان، بقيادة مورا، لاحتلال خان يونس، التي تبعد عن العريش نحو ستين كيلو مترا، في ٢٢ فبراير/شباط، وصلهم بونابرت، في اليوم التالي، وبقيت فرقة رينية في العريش، لحماية مؤخرة الحملة، بحيث تسير على مسافة يومين منها. والجدير بالذكر أن عدداً من الجنود توفوا، بسبب صعوبات اجتياز

الصحراء، وصل كليبر الطريق، فوصل بعد بونايرت، واستسلمت خان يونس، بدون قتال (٢٢).

سار بونايرت إلى غزه، مفتاح فلسطين الجنوبي، وكان الحر مخيفاً، والرياح العاتية تلفح الوجوه، وقلت المياه، وتعب الخيل والجنود، وبدأت روح التمرد والعصيان تثبت في الجنود، حتى اجتازوا الصحراء، فتغير الجو، وهطلت الأمطار، فأصيب كثير من الجنود بالأمراض (٢٣).

دخل جنود بونايرت إلى غزه، ففر منها المماليك وجنود الجزار، بعد مقاومة قليلة، بعدها احتل كليبر بندر غزة، بدون معارضة له، واستولى على ما وجده من ذخائر، وبارود، وطعام. وأرسل الفرنسيون فرمائاً مكتوباً من غزة إلى أهل مصر، لإخبارهم بذلك. وفي الوقت نفسه، وجه بونايرت إلى أهالي الشام فرمائاً، عند دخوله غزة، برر فيه حملته على فلسطين؛ " بقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم ". ومنح بونايرت للأهالي الأمان، وطالبهم بالعودة إلى أعمالهم، وحفل فرمان بونايرت هذا بالمفردات الإسلامية، حتى وصل إلى حد أن الله " يعطي النصر لمن يشاء " (٢٤).

أقام بونايرت إدارة محلية من الزعماء المحليين، إلى جانب الحماية الفرنسية في غزه، وذلك بعد أن تخلى حاكمها، عبد الله باشا، وفرسانه الـ (٢٠٠٠) عن الدفاع عن المدينة، وانسحاب ممالك إبراهيم بك إلى يافا.

في ١ مارس / آذار وصل كليبر وفرقته قرية اسدود، ثم قرية يينا، قبل وصوله إلى الرملة، في ٢ مارس/آذار، ووجد الفرنسيون فيها مؤناً

كثيرة، ومعدات، تركها المدافعون، الذين ارتدوا إلى يافا. وكان الهدف من احتلال الرملة حماية مؤخرة الفرنسيين، حين حصار يافا، والتحكم في طريق الرملة - القدس التجاري، الذي يربط بين القاهرة ودمشق، ولإحكام الحصار من تلك الجهة، لذلك ترك كليبر رينيه في الرملة (٢٥).

دخل جنود بونايرت مدينتي الرملة، واللد، بعد أن هرب منهما جنود الجزائر، ووجد فيهما مخزون كبير من البقسماط، والشعير، ورأوا فيها ألفا وخمسمائة قرية مجهزة (٢٦).

في ٣ مارس/ آذار وصل بونايرت يافا، وهاجمها، بسرعة، ليؤمن الاتصال البحري عن طريقها، مع دمياط، والإسكندرية، فتوجهت فرقتي الجنرالين، لان، ويون، إلى الشرق، والجنوب من المدينة، ورابطت فرقة كليبر عن نهر العوجا شمالي يافا بثمانية كيلو متر، لقطع الاتصال مع عكا (٢٧).

تمت محاصرة يافا من جميع الجهات، وأرسل بونايرت إلى حاكمها بأن يسلم القلعة، قبل أن يحل بها الدمار، وفي اليوم التالي أمر بونايرت بحفر خنادق حول سور المدينة، وعمل متاريس أمنية، وحصارات متقنه حصينة، ونصب مدافعه بجانب البحر، لمنع الخارجين إليهم من مراكب الميناء. رأت حامية يافا المؤلفة من أربعة آلاف مقاتل تمترسوا بالقلعة، بأن جنود بونايرت قلائل، لاختبائهم في الخنادق، وخلف المتاريس، فخرجوا لهم جنوده، وقتلوا منهم عددًا كبيرًا من تلك الواقعة. أرسل بعدها بونايرت خطابًا إلى حاكم يافا، أخبره فيه بأن حضوره إلى يافا إنما جاء لإخراج الجزائر وجنوده منها، لتعديّة على أرض مصر بإرسال قواته إلى

العريش، وأخبره، أيضًا بمحاصرة يافا من جميع الجهات بالمدافع، وإمكان الفرنسيين دخولها في خلال ساعتين، وخوفه على الأهالي من بطش الجنود، وسطوتهم^(٢٨). أرسل بونايرت إلى الجزار ضابطًا تركيًا لتسليمه المدينة، فقتله الجزار، هو والدليل، ورفع رأسيهما على الحراب فوق السور، فهاج بونايرت لهذا التحدي، وكان قد ضاق ذرعا بهجمات فرق المغاوير العرب من خلف الأسوار، فشن هجومًا كاسحًا، دخل على إثره المدينة، واحتلها، واستباح فيها كل شيء^(٢٩). برغم سقوط يافا، بعد عدة ساعات من الهجوم، فإن الفرنسيين استمروا يقتلون بوحشية الأهالي، والشيوخ، والنساء، والأطفال الرضع، والصبيان، المسلمون، والمسيحيون، وازدادت شراستهم، كلما سمعوا صرخات الاستغاثة، فعمدوا إلى اغتصاب الفتيات أمام أمهاتهم، وواصلوا الغدر بالجنود، حيث وعدوهم بأن يعاملوا كأسرى حرب، فقام ثلاثة آلاف جندي بتسليم سلاحهم، ومنهم مغاربة، وسوريون، وفلسطينيون، وأتراك. وكان هؤلاء الأسرى يشكلون مشكلة لبونايرت في طعامهم، وحراستهم، فهل يطلق سراحهم، فينضموا إلى عكا! وسرعان ما انتهى تردده، وأصدر قراره بإعدامهم جميعًا (ثلاث آلاف عربي)، وصف أحد المواطنين الفرنسيين تلك المذبحة، في خطاب لأمه، قال فيه: "أخذ الجنود المغاربة لشاطئ البحر، وقتلوه رميًا بالرصاص، وكان أملهم في النجاة هو أن يلقوا بأنفسهم في البحر، والهرب بالسباحة، فضربوا بالرصاص على مهل، وسبحت جثثهم في بحر دمائهم، حتى القليل، الذين وصلوا بعض الصخور، صدرت الأوامر بالذهاب إليهم في قوارب، والإجهاز عليهم،

دون الإسراف في الذخيرة، فبلغت بهم الوحشية أن قاموا بطعنهم بالسونكي، وكان من ضمن الضحايا أطفال كثيرون، تشبثوا، وهم يموتون، بأبائهم، صف الأحياء من الأسرى متاريس من جثث رفاقهم، الذين استشهدوا، لتحميمهم من طعنات السونكي".!

بعد خمسة أسابيع من تلك المذبحة، طوّق جيش والي دمشق قوات كليبر، في جبل طابور، جنوب بحيرة طبرية، واستمر يحاصره عشر ساعات، حتى كادت ذخيرة تنفذ، واستبد العطش بجنود الفرنسيين، لكن بونايرت أنقذ قوات كليبر، بفرقة، قادها بنفسه، وأطلق المدافع، فبدأ جيش والي دمشق بالانسحاب، ليتوقى المدفعية، فأصبح هدفاً سهلاً لجنود كليبر، الذي أمرهم بمطاردة ذاك الجيش، فخاضوا البحيرة، لا ليشرىوا، ولكن ليقتلوا. وكتب أحد الجنود الفرنسيين، في مذكراته: " كنا نموت ظمأً. ولكن ظمأنا للانتقام، أطفأ ظمأنا للماء، وألهب ظمأنا للدماء، فخوضنا مياه البحيرة، ولم نعد نفكر في الشراب، بل في القتل، وصبغ البحيرة بدماء هؤلاء الهمج، حتى امتلأت بجثثهم".!

في ذلك الوقت، طبع بونايرت منشورًا لأهل فلسطين، قال فيه: " وسيكون الدين، على الأخص، موضع الحماية، والاحترام، لأن جميع الطيبات من عند الله ... والنصر من عند الله".! فيما أثمرت جثث أهل يافا المتعفنة في شوارعها، ومتاريس جثث الجنود الأسرى التي ظلت على الشاطئ، وأسفل جبل طابور، عن مرض الطاعون، الذي ما لبث أن كان من أهم أسباب هزيمة بونايرت وجنوده، تحت أسوار عكا (٣٠).

أعاد بونايرت المصريين، الذين كانوا في يافا، بعد أن فشل في

ضمهم إلى الجيش الفرنسي، وكان بينهم السيد عمر مكرم، الذي هاجر إلى يافا، بعد معركة الأهرام (٣١).

بونابرت وفكرة الوطن القومي:

لم يهمل بونابرت القدس، بل كانت في حسبانته، وقد نظر إليها من الوجهة العسكرية، دون الدينية، فطلب من حامية القدس تسليمها، فأجابته بأن مدينه القدس تابعه لعكا، فمتى فتحها تسلم إليه (٣٢).

الجدير بالذكر أن بونابرت ربط بين الوطنية، السباق الاستعماري، المسألة الشرقية، المسألة اليهودية، إذ أن يهود العالم موزعين، والحديث عن " العودة إلى فلسطين " نداء يتردد على لسان الحاخامات، بين حقبة وأخرى، ربما مرة كل ثلاثين أو أربعين سنة، ولم يؤخذ هذا النداء مأخذ الجد؛ لأن العودة خلط متعسف للأسطورة بالتاريخ، لكن المسألة اليهودية، في القرن التاسع عشر، أخذت على محمل آخر، فهي ذلك الاضطهاد الواقع على اليهود في أوروبا، وكانت موجات الهجرة من الشرق هي النقطة الحرجة من

" المسألة اليهودية "، فلا مسيحيو الغرب يريدونهم، لضيق صدورهم باليهود المقيمين في بلادهم، كما أن يهود الغرب أنفسهم يرفضون وجودهم أكثر من المسيحيين، فهم نجحوا بالكاد في صرف الأنظار عن وجودهم، وتلك الهجرة سوف تثير حساسية أوضاعهم مع المسيحيين، مرة أخرى. ومن هنا بدأ بونابرت يأخذ عدة خطوات، استغل فيها شغف اليهود، وتدهور حالهم في أوروبا، وربط بين ذلك وبين قضايا القرن، لتنفيذ استراتيجيته وأطماعه الاستعمارية. مستعملاً ظاهرة " الوطنية " في

إيقاظ الوعي لدى اليهود، في حق تقرير مصيرهم، ومطالبتهم " بوطن قومي"، ينقذهم من الشتات، ويريح أوروبا من عبء الهجرة المتدفقة إليها من يهود شرق أوروبا. كما عزف بونايرت على الوتر الديني اليهودي، وأساطيره، لتكون فلسطين وطن اليهود المختار، من أملاك الخلافة العثمانية الواهنة، ويتسابق الكل على إرثها. فإذا نشأت دولة يهودية برعاية فرنسا في فلسطين، تكون نقطة البداية، لتنفيذ خطة السيطرة على قلب الخلافة العثمانية، قبل أن تنتبه القوى الأخرى، وتتحرك إليها (٣٣).

بونايرت رائدا:

يعد بونايرت أول رجل دولة، في العصر الحديث، يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين، قبل " وعد بلفور " بـ ١١٨ سنة، بل إن الرمز الصهيوني حايم وايزمان وصف بونايرت بأنه " أول الصهيونيين الحديثين غير اليهود ". اختار بونايرت الوقت المناسب للاعتراف بحقوق اليهود المزعومة، وذلك لخدمة مصالحه في حملة على الشرق. ففي ربيع عام ١٧٩٩، وبينما بونايرت على أبواب عكا، أصدر بيانًا طلب فيه من يهود أفريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه، لإعادة إنشاء مملكة القدس القديمة (٣٤). ثم أظهر بونايرت ورقته اليهودية أمام أسوار القدس، نداء إلى يهود العالم، تم توزيعه في فرنسا، وإيطاليا، والأمارات الألمانية، وأسبانيا، مما يشير إلى أن القضية ليست ظرفًا محليًا واجهه بونايرت عند أسوار القدس. ورغم أن بونايرت لم يكن يهوديًا، ولا مواليًا لليهود، فلم تكن ورقته اليهودية ونداءه لليهود العالم من خارج أسوار القدس أكنوبة،

كحال ورقته الإسلامية، التي وجهها للمصريين، إبان دخوله بحملته إلى مصر، فعدد من وجه إليهم ورقته الإسلامية يفوق المليونين، في استطاعتهم أن يجعلوا مصر مصيدة لجيوشه، وليس رأس جسر، لذلك كانت ورقته خديعتهم.

أما ورقته اليهودية فتختلف؛ لأن اليهود في فلسطين لم يزد عددهم عن ١٨٠٠ شخصاً، طبقاً لتقرير مرفوع لبونايرت من ضباطه، منهم ١٣ في مدينة القدس، لم يكن في مقدورهم أن ينصروه، ولا أن يخلوه، لذلك لم تكن ورقة بونايرت لليهود أكذوبة، أو خدعة سياسية، على غرار ورقته الإسلامية، بل هي رؤية لإمبراطور يملك حساً استراتيجياً نابهاً وبعيداً (٣٥).

جاء نداء بونايرت لليهود العالم، على أنه من القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا، إلى " ورثة فلسطين الشرعيين "، وأنهم " الشعب الفريد " وحثهم على التمسك بوطنهم القومي، فهذا هو الوقت المناسب لذلك، وأن " العناية الإلهية ترعاهم وأرسلت إليهم بونايرت " لكي يحقق لهم حلم أجدادهم في استعادة أرضهم المغتصبة، من آلاف السنين... إلخ (٣٦).

لم تكن هذه الورقة اليهودية هي أول نداء لليهود العالم من أجل أخذ " إرثهم الفلسطيني " المزعوم، بل سبقتها ورقة غير رسمية أخرى، عشية حملة بونايرت إلى الشرق، هيأت الساحة لتلك الورقة، انتشرت بين اليهود الإيطاليين، الذين اعتبروا بونايرت " محررهم العظيم "، وتضمنت الورقة غير الرسمية خطاً مفصلاً عن بعث اليهود كأمة.

وظهرت الرسالة مطبوعة في فرنسا وإنجلترا، حيث كان ممثلو الرأسمالية الإنجليز يرقبون حملة بونابرت، والغيرة تملأ قلوبهم، ويلقون بالتبعية على السياسة الإنجليز، لإضاعة الفرصة من أيديهم. وفي إبريل/ نيسان عام ١٧٩٨، نشرت إحدى الصحف الفرنسية رسالة عبّرت عن قناعتها بأن اليهود سيدعمون فرنسا في فلسطين، لتحمل نفقات الثورة في سوريا ومصر. ولعل من الأهمية بمكان أن مقدمة البيان خاطب اليهود، بشكل مباشر، على أنهم " الورثة الشرعيون لفلسطين ". ما أعاد إلى الأذهان نبوءات (أشعيا، ويونيل) التوراتية، عن عودة اليهود إلى صهيون ". والأهم من ذلك أن الرسالة غير الرسمية تحدثت عن حدود دولة إسرائيل المقترحة، بعبارات تجارية أكثر منها توراتية: إن الدولة التي تنوي إقامتها ستشمل، بالاتفاق مع فرنسا؛ " مصر السفلى، بالإضافة إلى منطقة يحدها خط يمتد من عكا إلى البحر الميت، وهذا الموقع الذي يعد أكثر المواقع فائدة في العالم، سيجعلنا، عن طريق السيطرة على ملاحه البحر الأحمر، سادة تجارة الهند، والجزيرة العربية، وجنوب وشرق إفريقيا، والحبشة، وأثيوبيا " (٣٧).

أراد بونابرت كسب ولاء اليهود، لتمويل حملته المتجهة إلى الشرق، فهؤلاء اليهود قدموا قروضاً مالية للحكومة الفرنسية، وهناك، أيضاً، حايم فارحي، اليهودي الذي يمثل العصب المالي والتمويني لمدينة عكا (٣٨).

لم يسع بونابرت لحل القضية اليهودية، بدافع من حبه للآخرين، ولم يكن يريد إنشاء " وطن قومي " لليهود، بل لأن مثل هذه الدولة تنسجم

واهتمامه السياسي، وتعد من أهم الركائز الأساسية لتنفيذ استراتيجيته، وخطته الاستعمارية لدول الوطن العربي. لكن السؤال: هل اليهود يدركون ذلك، وهل حاولوا هم، أيضاً، استغلال احتياج بونايرت لهم؟.

حصار عكا:

بعد أن ألقى بونايرت بيانه التاريخي ليهود العالم، على أبواب القدس، توجه بجنوده إلى عكا، لمحاصرتها، فهي العاصمة، والقلعة، ورأس الجسر، الذي يعبر منه لتكملة مسيرته الاستعمارية، لكن هيهات أن يحقق حلمه، وهناك ذلك الجزار، الذي ولد سنة ١٧٣٥ في بلاد البوشناق، فهو نصراني، بالولادة، اقترف وهو صبي، جرماً أخلاقياً، فر، على أثره، إلى القسطنطينية، وباع نفسه إلى نخاس يهودي، وسمى نفسه أحمد، وانتهى به الأمر مملوكاً عند علي بك في القاهرة، الذي عينه جلاًداً. وقد أظهر أحمد من التفنن في إنفاذ مهمته، ما أكسبه لقب "الجزار"، وكان شديد التفاخر بهذا اللقب، حريصاً على أن يكون جديراً به (٣٩). وقد اتبع الجزار سياسة إلقاء الفتن بين المشايخ والأمرء، وكان طائش السيف، ظالماً، فسخط عليه عامة الشعب، والحكام في مصر، ففر إلى الأمير يوسف الشهابي في سوريا.

في سنة ١٧٧٠ قام بتحسين مدينة بيروت، ومنع أهل جبل لبنان من دخولها، وعزم على العصيان، ففطن لذلك الأمير يوسف، وهم بأن يبطش به، إلا أن الجزار خضع له، وأطاعه، ثم جاهر بالكفران عليه، وغلبه، كما أزال إمارة علي بن ظاهر العمر، بقتله، واستحوذ الجزار على ما كان يملك العمر وأهله من المقاطعات، واتخذ من عكا عاصمة له، وبنى

عليها سورًا، وجامعًا كبيرًا^(٤٠). أصبح الجزائر صاحب النفوذ الأول في سوريا، عدا حلب، وتولى إمارة الحج. ولكن لقسوته تعرض لعدة ثورات، منها ثورة الأمير يوسف، الذي انضم إليه الدروز، والثوار، وانتصروا، في البداية، ثم سرعان ما هزمهم الجزائر^(٤١). وما فتئ الجزائر يُقتل، ويذبح، ويثير الفتن بين المشايخ، حتى زادت ثقة الدولة العثمانية به، واعتمدت عليه، فازداد بطشًا وإرهابًا للناس^(٤٢).

استمر الجزائر في القضاء على خصومه، ومنافسيه، بلا رحمة، ولا شفقة، ولا يزال اسمه مرادفًا للقسوة البالغة. فقد ذكر ميخائيل شاقّة^(٤٣)، أن جده، الذي كان موظفًا في الحكومة شاهد يومًا، أكثر من أربعين رجلًا يُصفون خارج أسوار المدينة، لينفذ فيهم حكم الإعدام، بالخازوق، أورد المؤرخ نفسه أن الجزائر أرتاب يومًا، بعد رجوعه من الحج، بتصرف حريمه، وعندهم ٣٧ امرأة، فأمر بحرقهن جميعًا^(٤٤).

يعد الجزائر من أهم الزعماء، في تلك المرحلة، التي اتسمت باحتدام الصراع بين دول الغرب والدولة العثمانية. أثناء تولي الجزائر على صيدا، تصدى للفرنسيين، حيث اتبع سياسة وطنية للتجارة، فقام بطرد الجالية الفرنسية، التي كانت تحتكر التجارة فيها، وتحيا حياة البذخ والتبذير، إذ كانت تجارة منطقة سوريا وفلسطين مورد غنى للفرنسيين، كسبوا منها ثروات طائلة، وعلاوة على احتكارهم التجارة، فإن ثمة أسباب أخرى، وسّعت هوة الخلاف بين الجزائر والفرنسيين، منها سوء أخلاق هؤلاء التجار المقيمين في صيدا، وغيرها، وتعتديهم المستمر على الآداب، وأيضًا تشجيع التجار الفرنسيين القراصنة المالطيين على

مهاجمة السفن العثمانية، لمنع التجار العثمانيين من مزاحمتهم، ولكي يحتكر الفرنسيون الأسواق المحلية، والتحكم في الأسعار^(٤٤).

استحوذ القلق على الجزائر، بنزول بونابرت مصر، وبدأ باتخاذ الاحتياطات اللازمة، وحث المسلمين على " الجهاد "، وتحالفت الدولة العثمانية مع الإنجليز، ووصل الأسطول الإنجليزي، بقيادة سيدني سميث، إلى عكا. وبعد أن وصلت أخبار يافا للجزائر، صمم على المقاومة، معتمداً على أسوار عكا، وبراعة جنوده، وعزز ذلك بخبرة فيليبو الفنية، وهو أحد النبلاء، الذين أجبرتهم الثورة الفرنسية على مغادرة فرنسا، قدمه له سيدني سميث، كمهندس حربي مختص بفن التحصين، والدفاع في حالة الحصار، وأيده في توصياته الخاصة ببناء سور داخلي، للإيقاع بمن يخترق السور الأول، أثناء الحصار.

أرسل بونابرت برسالة إلى الجزائر، قال فيها إنه أتى لحماية المسلمين، ومحامل الحج الشريف، وللإبقاء على الصلاة، و " سوف تكونوا آمنين، وتفتحوا البنادر والمتاجر ". لكن الجزائر لم يستمع إليه. فهو يخشى بونابرت، وإن كان لا يصدق^(٤٥).

وصل بونابرت عكا، في ١٨ مارس/ آذار، وكانت محاطة بأسوار وأبراج، وخندق عميق وعريض، وينقل الماء إليها بقناة محكمة البناء، ويدافع عنها حوالي ستة آلاف جندي، وفيها حوالي ٣٠ مدفعاً، في الوقت الذي لا تتعدى فيه المدافع الفرنسية الاثنى عشر، سلطها بونابرت على البرج الرئيسي في الزاوية الشرقية لعكا^(٤٦).

تولى الجزار الدفاع البري، والأميرال الإنجليزي، سيدني سميث، الدفاع البحري، وكان الجنود العثمانيون يفتدون بكثرة، على الجزار، واستماتوا في الدفاع عن عكا، بعد أن اطلعوا على أنباء ما فعله بونايرت بحامية العريش، وغزه، ويافا. ولم يستطيع بونايرت استمالة أي من الأمراء، لخوفهم من بطش الجزار، وشدته. فأثناء حصار عكا أرسل بونايرت فرقاً إلى القاهرة، وصفد، ووقعت معركة بين الفرنسيين وجنود الأتراك، وحول جبل طابور، وهزم العثمانيين، وجاء بعضهم للتفاوض مع بونايرت^(٤٧). ووعد بونايرت إثنان من أبناء ظاهر العمر، الذي قام الجزار بقتله، ومعه خمسون شيخاً محلياً، منشقين على الجزار، أنه سيعيده إلى قصر أبيه، الذي اغتصبه الجزار، وتقديم المناصب والمؤن إليهم. واتصل بالأمير بشير الثاني الشهابي، أمير الدروز بجبل لبنان، لطلب المؤن، وحرص بونايرت على عدم مصادرة مؤن فلاحي فلسطين، لكي لا يثوروا ضده.

في ٢٧ مارس / آذار، تسلق جنود بونايرت أسوار عكا، ولكنهم صدوا، بقوة، وتكبدوا خسائر جسيمة، إن جنود عكا ردوا بهجوم مضاد، كبدهم خسائر كبيرة، عكس ما كان يعتقد بونايرت بأنه سوف يحتل عكا في الهجوم الأول، بدأ التذمر ينتشر بين جنود بونايرت، بسبب عدم استطاعتهم احتلال عكا، بعد ردهم على هجوم الجزار، في ٢ إبريل / نيسان، وتكبدتهم خسائر فادحة^(٤٨).

حرص بونايرت على احتلال المناطق المجاورة لعكا، ترقباً للهجوم العثماني، فأرسل الجنرال فيال، في ٤ إبريل / نيسان، أربعة آلاف جندي

إلى صور، واحتلها، ونزل فيها بعض الجنود، ثم وجه قوات إلى طبرية، وأرسل الجنرال مورا، لاحتلال قلعة صفد، بهدف تأمين الطريق بين دمشق وفلسطين، والجنرال جينو إلى الناصرة، لمراقبة الطريق عبر نهر الأردن (٤٩).

في ١٦ إبريل/ نيسان، استولت قوتان عثمانيتان، قدمتا من دمشق، بقيادة عبد الله باشا، والى الشام، وجنود مماليك، بقيادة إبراهيم أغا، وجنود آخرين من سوريا، ومصر، والأتراك، وفلاحى نابلس، والمغرب على طبرية، وقرية لوبية، وسيطروا على طريق طبرية - الناصرة.

اتجه كليبر من عكا إلى الناصرة، بناء على تعليمات بونايرت، في ٩ إبريل/ نيسان، لمساندة جينو في هجومه على العثمانيين الموجودين في طبرية، وكانت القوات العثمانية قد أخذت جبل طابور، وقرية الفولة، في مرج بن عامر، مركزاً لها، وكان عددهم ثلاثين ألفاً، وقوات كليبر ٥٠٠ جندي، وأربعة مدافع.

أمر بونايرت كليبر بمهاجمة القوات العثمانية، واندلع قتال بين الطرفين، وكاد كليبر أن يهزم، لولا وصول بونايرت له، وهُزمت القوات العثمانية في جبل طابور. في ١٧ إبريل / نيسان استولى بونايرت على ذخائر ومؤن كثيرة، واستعاد صفد، واحتل طبرية، ونهب وأحرق قرية الفولة، ونورس، وجنين، وقدر خسائر العثمانيين بثلاثة آلاف، والفرنسيين بثلاثمائة، بين قتل وجريح. وعاد بونايرت إلى عكا، وحاصرها، وعهد إلى فرقة كليبر بحماية جسر بنات يعقوب، وحصني صفد، وطبرية من القوات العثمانية، ثم عاد، بعد ثلاثة أسابيع، إلى عكا،

وبقي الجنرال جينو في الناصرة، للمحافظة على صفد، وطبرية، وفي هجوم فاشل من بونايرت على عكا، توفي على أثره قائد سلاح الهندسة الفرنسي، كافاريلي، ورد عليهم الجزار، بمساعدة الإنجليز، بهجوم مضاد، ووصلت نجدات عثمانية إلى عكا، بطريق البحر، ضمت أكثر من عشرة آلاف مقاتل، حاول بونايرت منع وصولها، ولكن، وصلت، بعد بعض الخسائر (٥٠).

بثبات الجزار، وشجاعته الفائقة، جعلت بونايرت يجمع جنوده، وخطب فيهم خارج أسوار عكا، فقال: " هذه المدينة هي مفتاح الشرق، فاعلموا حرج مركزكم، ووحّدوا عزائمكم على امتلاكها؛ لأنكم بامتلاكها تسلمون لدولتكم مفتاح الشرق، فتدخل القسطنطينية، عاصمة قياصرة الروم، ونملك شرقي أوروبا وشماله، فاعلموا ذلك واخلصوا نياتكم ". ما ألهب حماس جنوده، فاقترحموا الخنادق، وفتحوا ثغرات في الأسوار، وهزموا الحامية، ودخلوا البلدة، حتى وصلوا الجامع الكبير، فخرج الجزار يقاتلهم بنفسه، ويحرض الجنود على الثبات، وكان يفتك بكل من يعمد إلى الفرار من مقاتليه، فاستبسلوا حتى ردوا بونايرت، وجنوده خائبين (٥١).

في ١١ مايو / أيار هاجم بونايرت عكا، لمدة ثلاثة أيام متصلة، انتهى بخسائر للجائتين. وفي ١٢ مايو / أيار شن الجزار هجوماً على الفرنسيين. وبانتشار الطاعون بين جنود بونايرت، وتعدد هجمات جنود الجزار، باءت محاولات بونايرت بالاستيلاء على عكا بالفشل، فكتب لحكومته في باريس بقرار انسحابه إلى مصر، حيث رأى بأنه حتى لو

استولى على عكا، فستكون مقبرة له، بسبب الطاعون، ونقص المؤن، وتصميم العثمانيين، والإنجليز، على المقاومة، حيث كان العثمانيون يعدون لإرسال جيش من أجل طرد الحملة من مصر، وحاول بونايرت التفاوض مع الجزائر، وسيدني سمث، لوقف القتال، ورفضاً، وتؤكد بونايرت بأن عكا لن تسقط، فرفع الحصار عنها، وانسحب إلى مصر (٥٢).

لعل من أهم أسباب فشل بونايرت في احتلال عكا:

١- كان تحصين الإنجليز لعكا، ومساعدتهم الفعالة، التي جعلت من الحصار كأن لم يكن، بإيصال المؤن إلى عكا، وإمداد الجزائر بالعتاد، كما أنزلوا إليه الأسطول العثماني، واستولوا على آلات، ومدافع الأسطول الفرنسي، وسلّموها للجزائر، كي يستخدمها.

٢- فيليمو، ذلك الفرنسي الذي حارب بونايرت، نكاية بالثورة الفرنسية، منظم الدفاع عن عكا، بشكل فني، حتى قال كليبر بأن الجزائر يدافع بالطريقة الأوربية (٥٣).

٣- كان بونايرت قد بدأ في غزو فلسطين، معاصراً لتجدد التصميم من حركات المقاومة في مصر على الجهاد، ومنها واقعة مراد بك مع الفرنسيين في الصعيد، التي قتل فيها زهاء ثلاثمائة فرنسي، ما جعل موقف بونايرت في حرج، في محاولة لإخماد الانتفاضة الشعبية، في الداخل، وصراعه مع الجزائر في الخارج.

٤- كانت مشاركة أهل الحجاز، ومحمد المغربي الذي صار له جيش

كبير، من ضمن العوامل، التي ساعدت في هزيمة بونايرت.

٥- موت الجنرال بون، متأثرًا بجراحه، وأيضًا، الجنرال كفرللي، الذي قام بإقامة المتاريس، والذي يصعب تولى غيره أمرها.

٦- نقض الصلح بين فرنسا والنمسا.

٧- كان مرض الطاعون، الذي فتك بالجنود، وكاد يقضى عليهم جميعًا، مع نقص المؤن، من أهم العوامل، أيضًا^(٥٤).

للأسباب السابقة مجتمعة، لم يكن لبونايرت، أو كليبر مجد في عكا، فقد قال بونايرت: " لو استطعت الاستيلاء على عكا، للبست عمامة، ولجعلت جنودي يرتدون السراويل، ولجعلتهم فيلقًا مقدسًا، ولنصّبت نفسي إمبراطورًا على الشرق، ولعدت إلى باريس، بطريق القسطنطينية ". لكن هذه الأحلام دفنت تحت أسوار عكا. المجد الذي تحقق في حملة الشام، حققته عكا، بصمودها ٦٢ يوما تحت الحصار، ونيران المدافع الفرنسية، ومع ما فتحته، من ثغرات من أسوارها، والهجوم عليها، والمذابح الوحشية التي ارتكبها جنوده^(٥٥).

في ١٩ مايو / أيار تم إجلاء ألف ومائتي جريح فرنسي بحرًا باتجاه دمياط، وأُتلفت الحامية الفرنسية، بقيادة جينو، مستودعاتها في طبرية، قبل أن تنسحب إلى صفوريه. وفي عكا أُلّف الفرنسيون مدفعيتهم الثقيلة، ولم يفتهم هدم الأبنية التي تزود عكا بالماء.

في ٢٠ مايو / أيار انسحب بونايرت من عكا، دون أن يحقق حلمه في الاستيلاء عليها، وقامت فرقة كليبر، والفرسان، بحماية المؤخرة، إلى

أن يتم الانسحاب، فغادرتا عكا، وهدما الجسور على نهر كيسون.

خلف بونايرت وراءه في حيفا حوالي مائة من الجرحى والمرضى الفرنسيين، وآخرين في خنطورة، وصادر جياذ الجند، لنقل المرضى، وأتلف ذخائر، ومدفعية أخرى، تعذر نقلها لمصر.

في ٢٣ مايو/ أيار وصل بونايرت إلى قيادية، وأتلف جزءًا آخر من مدفعيته، وبطش بأهلها، عندما حاولوا مهاجمة الحملة.

في ٢٤ مايو/ أيار وصل بونايرت إلى يافا، وأقام فيها أربعة أيام، أتلّف خلالها تحصين لهم، ومستودعاتهم، في الوقت الذي مات فيه نصف حامية يافا من الطاعون، علاوة على ألف جريح، ومصاب، نُقل منهم ثلاثمائة، عن طريق البحر، وقُتل بعضهم بالسّم.

فرض بونايرت على أهالي يافا غرامة، قدرها ١٠٧٤١٧٤ ليرات ذهبية، حصلوا على ٨٥٦٠٨، فورًا، وأخذوا الرهائن، حتى يدفع المبلغ الباقي. وأحرقوا المراكب في ميناء المدينة. وغادر بونايرت يافا، في ٢٨ مايو/ أيار، وتخلّف كليبر، يومًا، لحماية المؤخرة، وقام جنوده بسرقة القرى، وحرقتها، إذا هاجمتهم، ووصل غزه، في ٣٠ مايو/ أيار، وتوقف فيها يومين، لفرض الضرائب على أهلها. وترك فيها عددًا من المرضى المصابين بالطاعون، بعهدة أعيان المدينة، وأخذوا منهم الرهائن، وصل بونايرت خان يونس، في ١ يونيو/ حزيران، ومنها للعريش، ثم إلى قطبة.

وصل بونايرت القاهرة، في ١٤ يونيو/ حزيران ١٧٩٩، بعد قرابة

أربعة أشهر ونصف، قضى منها في فلسطين حوالى ثلاثة أشهر ونصف، أسفرت عن خسائر في جنوده، كالآتي: عدد القتلى والمتوفين ٤٤٠٠، منهم ٣٩٢٠ قتلى ومتوفون بسبب جروحهم، ٤٨٠ متوفى بسبب الطاعون، ٢١٥٠ جريح. فيكون مجموع الإصابات ٦٥٥٠، وكان مجموع أفراد الحملة، في بدايتها، ١٢٩٤٥ (٥٦).

هكذا عاد بونايرت إلى القاهرة، بعد أن نقص جيشه، بمقدار الثلث، لكنه قام بتنظيم استقبال ظافر. وأصدر بيانًا باللغة العربية، لإبلاغ سكان القاهرة بأنه لم يعد ثمة حجر فوق الآخر في عكا، " إلى حد أنه يمكن للمرء أن يتساءل، فيما إذا كانت توجد مدينة في هذا المكان من قبل ". وظهر بأن القائد العام الذي لم يفلح في استخدام ورقة العربية عاد، مرة أخرى، للإسلام. فقد أوضح بأنه " يحب المسلمين، ويحترم النبي ". ويعتزم " بناء جامع، لامثيل له في العالم ". بل حتى " سيعتق الدين الإسلامي " (٥٧)!

بيد أن القصة لم تكتمل فصولاً.

كليبر يخلف بونايرت:

عاد بونايرت، سرًا، إلى فرنسا، في ١٨ أغسطس/ آب ١٧٩٩، وأشاع بأنه يقصد الذهاب إلى منوف، بحجة التفتيش على أحوال البلاد (٥٨).

إنه بونايرت نفسه، الذي جاء، قبل ذلك بثلاث سنوات، لبيني إمبراطورية فرنسية شرقية، تضرب إنجلترا في الصميم، وتقطع طريق

تجارتها إلى الهند. ضاع كل هذا، ومعه نصف جيشه، تحت وطأة، الطاعون، والثورات، وأمام أسوار عكا.

خلفه كليبر في التركة المثقلة بالديون، حتى وصل العجز في خزانة الحملة الفرنسية، إلى عشرة ملايين من الفرنكات، وتدهورت معنويات قوات الحملة، فهل يستطيع كليبر الخروج من المحنة؟^(٥٩).

لقد اختار كليبر لنفسه أسلوبًا آخر، يختلف عن بونابرت، فأحاط نفسه بمظاهر الأبهة والجبروت، متخيلًا بأنها تؤثر في العرب، وفرض على الشعب أن يؤدي له ما كان يؤديه للباشوات والولاة المماليك من مظاهر الإجلال والتكريم^(٦٠).

بطش كليبر بالمصريين " قتلاً، وحرقاً، وسبيًا للنساء، والبنات، والغلمان ". وأقلس البلاد، بالغرامة الوحشية، كما زرع الأحقاد التي تهدد وجود الأمة، ووحدتها، وتحولها إلى نفاية، فإذا بالأمة تقذفه إلى الفناء، على يد سليمان الحلبي^(٦١).

ولد سليمان محمد أمين الحلبي، في حلب، عام ١٦٩١ هـ / ١٧٧٧ م، لأب تاجر زبد بمدينة حلب السورية. وهو شاب كثير التجوال، عاش ثلاث سنوات في مكة، والمدينة، ودرس بالأزهر، ثلاث سنوات متصلة، على يد الشيخ مصطفى أفندي، وزار القدس، ونابلس، وغزه.

في بداية عام ١٨٠٠ رحل سليمان من حلب إلى فلسطين، مكودًا وضائقًا لما فرضه والي حلب العثماني، إبراهيم باشا، على أبيه من غرامة كبيرة، وحاول سليمان البحث عن عمل، وقضى خمسة أشهر،

بجوار المسجد الأقصى، وعلم سليمان بما فعله بونابرت بأهل يافا، وجنودها، وبحامية دمشق، ومعسكر العريش، وشاهد سليمان آثار التدمير بنفسه. ذهب سليمان إلى أحمد أغا، محافظ القدس، نهاية مارس/ آذار ١٨٠٠م، يشكو ما يلاقيه والده الحاج محمد أمين من اضطهاد، وضرائب، وغرامات، من محافظ حلب، وتعددت اللقاءات بينهما، وطرح مشروع اغتيال كليبر نفسه على لقاتهما.

توجه سليمان إلى القاهرة، لتنفيذ مهمته، وطلب منه أحمد أغا السفر إلى غزه، ليلتقى شخصاً اسمه ياسين أغا، الذي سيقدم له المساعدات اللازمة لتنفيذ المهمة. غادر سليمان القدس إلى الخليل، ظل بها عشرين يوماً في انتظار قافلة يرافقها إلى غزه، ليكون في مأمن من قطاع الطرق، ووصل إلى غزه، في نهاية إبريل / نيسان ١٨٠٠م، والتقى بياسين أغا، الذي كان على علم بمهمة سليمان، ورتب له إقامة مؤقتة في جامع غزة الكبير، وتردد عليه، عدة مرات، ليلاً، للتباحث، ووعد ياسين برفع الاضطهاد عن أبيه، وأن يشمل به حمايته، وأعطاه مصاريف سفره، وأوصاه بالحذر، والكتمان، وألا ينفذ المشروع، إلا بعد أن يتأكد من نجاحه. واشترى سليمان الخنجر، الذي قتل به كليبر، من غزه، والتحق بأول قافلة من غزه إلى القاهرة، محمّلة بالصابون، والدخان، واصلت السير، لمدة ستة أيام، قضاها سليمان على ظهر هجين.

وصل سليمان القاهرة، في منتصف مايو/ أيار ١٨٠٠م، ولا تزال آثار الحريق موجودة في كل شوارعها، فحطّت القافلة في قرية بجوار الجيزة، لمنعها من دخول القاهرة، لظروف المدينة^(١٢).

دخل سليمان القاهرة، في ١٤ مايو/ أيار ١٨٠٠ م، واستضافه، لمدة قصيرة، الشيخ مصطفى أفندي، أستاذه، الذي تعلم على يديه الخط، وحفظ القرآن، قبل ثلاث سنوات.

نقل سليمان إقامته إلى الجامع الأزهر، والتقى بأربعة من أصدقائه، جميعهم من غزه، طلاب فلسطينيين في الأزهر، وهم عبد الله الغزي، وأحمد الوالي، ومحمد الغزي، وعبد القادر الغزي، الذين سَهَّلوا له إقامة في الأزهر، دون إخطار السلطات الفرنسية^(٦٣).

مكث سليمان شهراً بالأزهر، قبل قتله كليبر، لمس عن قرب اضطهاد، وإهانة، وتعذيب كليبر للشيخ السادات، الذي تزعم ثورة القاهرة الأولى، والمحرّض على الثورة الثانية، من فرض غرامة، مالية كبيرة عليه، واعتقاله، وتعذيبه، وضربه أمام زوجته، التي حبسوها معه، ومصادرة أمواله، وبيع أملاكه، لدفع الغرامة التي فرضها كليبر عليه، ناسياً مقامه، كرجل دين، ونسبه، ومولده، المستمد من السلالة النبوية، فعم السخط رجال الشارع، وعلماء الدين، والشعب، ناهيك عما تكبده الشعب، بكل طوائفه، من مهانة، ونهب لأموالهم، وفرض غرامات، واعتقال لأعيانهم، وقتل أبنائهم^(٦٤).

هكذا وجد سليمان القاهرة في أسوأ أحوالها. ورغم الصعوبات التي انتصبت في وجه تنفيذ مهمته، فإنه ظل يبحث ويدرس أنسب مكان، ووقت، لاغتيال كليبر. حتى جاءت اللحظة الحاسمة، في يوم ١٤ يونيو/ حزيران ١٨٠٠م، أثناء تفقد كليبر بصحبة المسيو بروتان، المهندس المعماري، وعضو لجنة العلوم والفنون، أعمال الترميم في دار القيادة

العامّة، ومسكن القائد العام الخاص به، لإزالة آثار الإتلاف، الذي أصابها من جراء ثورة القاهرة الثانية، إذ خرج عليهما سليمان، واقترب من كليبر، كمن يريد أن يستجديه، أو يتوسل إليه، فلم يرتب فيه، ولم يلتفت إليه، فعاجله سليمان بطعنة خنجر مميت، أصابته في صدره، ثم تلتها عدة طعنات قاضية عليه، وعلى أماله في تخليد مركزه، وتحقيق مشروعاته السياسية، والحربية، في وادي النيل، ولأذ سليمان بالفرار، مختفياً في حديقة السراي^(٦٥).

اتجهت أنظار الفرنسيين، في بادئ الأمر، إلى اتهام العلماء، الذين قاموا بالتحريض على ثورة القاهرة الثانية، ففتشوا بيوتهم، ولم يجدوا ما يدينهم^(٦٦).

انتشر خبر مقتل كليبر، بسرعة البرق، وتلقاه الأهالي بالدهشة، والجزع الشديد، لتوقعهم الانتقام، والنكال، وتلقاه الفرنسيون بالغضب، والسخط، والتحفُّز للانتقام، فتجمع الجنود ينادون بالأخذ بالثأر، ويهددون بإحراق المدينة، ويضربون، ويقتلون من صادفهم من الرجال، والأطفال، فخلت الطرق من المارة، وأغلقت المحلات أبوابها، وأخذت دوريات الجنود تجوب الشوارع للبحث عن سليمان، وبعد ساعة عثروا على سليمان، مختبئاً في الحديقة الملاصقة لدار القيادة، وأرسل إلى دار أركان الحرب، مع اثنين من ضباط الحرس الملازمين للجنرال كليبر، حيث كان قواد الجيش مجتمعين، بعد ضربه، وتعذيبه^(٦٧).

انتهى التحقيق، في اليوم نفسه، وتحدد اليوم التالي (١٥ يونيو/ حزيران ١٨٠٠) لبدء المحاكمة، وأصدر الجنرال مينو، خليفة كليبر،

أمرًا بتشكيل المحكمة من تسعة من قادة الجيش الفرنسي، وأشرف مينو على التحقيق، بنفسه.

في الجلسة الأولى أجرى التحقيق، وجمعت أدلة الاتهام، وأسفر اتهام ستة أشخاص، هم: سليمان الحلبي، والأزهريين الأربعة، محمد الوالي، عبد الله الغزي، عبد القادر الغزي، ومحمد الغزي، وأستاذه الشيخ مصطفى أفندي، الذي نزل عليه عند وصوله القاهرة.

انعقدت المحكمة، في ١٩ يونيو/ حزيران ١٨٠٠، وأدانت سليمان، الذي قال، بعد تعذيبه، إن اسمه سليمان، عمره ٢٤ عامًا، صناعته كاتب عربي، وسكنه حلب، واعترف بقتله كليبر، ومن أهم ما قاله، بعد أن رفعوا عنه الضرب، إنه جاء من غزه إلى مصر، ليغازي في سبيل الله.

لم يحلم البطل سليمان بمجد، فجاءت كلماته بسيطة، ومعبرة لهدفه الواضح، الجهاد في سبيل الله. ظل البطل صامتًا هادئًا، أثناء محاكمته، رجل فعل ما يريد، ولا يعنيه ما يجري حوله. ولو تكلم هذا البطل، لنقلت جثة كليبر إلى قفص الاتهام، ليعرف، حقًا من هو صاحب اليد الأثيمة المغتصب، ومن هو القائد الجليل؟! (٦٨).

حكمت المحكمة بحرق يد سليمان اليمنى، ثم يوضع على الخازوق، حتى يموت، ويترك لتنهش الطيور جسده، والحكم على الشيوخ الأربعة، بقطع رؤوسهم، لاشتراكهم في الجريمة، بعدم إبلاغهم، رغم علمهم مسبقًا بها، والإفراج عن الشيخ مصطفى أفندي.

تم تنفيذ حكم الإعدام في ثلاثة من الشيوخ، وإحراق جثثهم، أمام

سليمان، وأنقذ عبد القادر الغزي، الذي لاذ بالفرار، بعد مقتل كليبر، وحكم عليه، غيابيًا.

في ١٧ يونه / حزيران ١٨٠٠، أنزل نعلش كليبر على تل العقارب، مكان تنفيذ الحكم على سليمان الحلبي، فأطاح بارتليمي^(٦٨) برؤوس الشيوخ الثلاثة، ورفعها فوق عصا طويلة، وغرسوها الجنود الفرنسيون في أرض التل، وأشعلوا النار في جثثهم، أمام سليمان، ثم نُفذ الحكم على سليمان، بوضع كفه الأيمن في الجمرة، ولم يتكلم البطل والنار تآكل لحمه الحي، ولكنه اعترض، عندما تعمد بارتليمي أن تطول النار مرفقه، منبهاً إياه بأن الحكم لم يذكر إلا اليد فحسب، وتشاجر معه، وأصر على حقه، وبعد ذلك بدأ في تنفيذ باقي الحكم، فقام بعملية الخزوقة، بمهارة، أحضر بارتليمي قضيباً مديباً من الحديد، ثم بدا في إد خالة في شرح البطل، بالدق بمطرقة خفيفة، حتى لا يحدث نزيفاً يؤدي إلى موته، قبل أن يتعذب، بما يكفي، ثم رفع الخازوق قائماً، وعليه سليمان، ثم غرس في الأرض، لتأكله الطيور الجارحة.

عندما دفن جثمان كليبر، كان الشهيد سليمان الحلبي جالساً على خازوقه، فوق تل العقارب، يصلي^(٦٩).

استشهد البطل سليمان الحلبي، مرفوع الرأس، وشارك من قام بإصدار الحكم عليه وتنفيذه، في أن تظل رأس الشهيد مرفوعة، رغم أنهم جميعاً، بدون أن يقصدوا ذلك.

احتفظ الفرنسيون بالهيكل العظمي للشهيد سليمان، ووضعوه في

حديقة بباريس، كما احتفظوا بجمجمته في غرفة التشريح بمدرسه الطب بباريس، ثم وضعوها، بعد ذلك في متحف الإنسان، ولا يزال خنجره في مدينة كاركسون بفرنسا (٧٠).

يعد الشهيد سليمان الحلبي نموذجًا للمجاهد الإسلامي، والثوري الشرقي، الذي وهب حياته لتأكيد الوحدة العربية، من قبل قرنين.

ثمة عدة تساؤلات يثيرها هذا العمل البطولي للشهيد والبطل القومي سليمان الحلبي: هل هي حادثة فردية، انتقامًا لوالده، كما ادعى الفرنسيون، أم أثاره ما سمعه، وما شاهده من أفعال بوناپرت، وجنوده، بأهل فلسطين، ومصر؟ أم كان تعذيب كليبر لأستاذه وشيخه الجليل، السادات، وراء سخطه، واندفاعه لقتل كليبر؟

أم كانت تلك الأسباب مجتمعة، وراء تصميم الحلبي على قتل كليبر، اعتقادًا منه بأن قتل الرأس ينهي الجسد، وبالقضاء على كليبر ستنتهي الحملة الفرنسية.

أم كان البطل ضمن تشكيل وتنظيم قومي، خطط، ونفذ، باقتدار، عملية اغتيال القائد العام لقوات الاحتلال، التي تتميز بضخامة الهدف، مع ضالة الخسائر، بالنسبة للتنظيم الثوري، الذي نفذها، حيث لم تسقط سوى الخلية المنفذة فحسب.

سواء كانت حادثة فردية، أم كانت مخططًا من تنظيم قومي، فإن الشهيد سليمان الحلبي، يعد نموذجًا للمجاهد الإسلامي، والثوري القومي، الذي وهب نفسه لتأكيد الوحدة العربية (٧١).

لقد أدى مقتل كليبر إلى ارتياب الفرنسيين بالأزهر، إذ كان يأوي إليه الشهيد سليمان الحلبي، ورفاقه، ولم يفتنع الفرنسيون بعدم علم علماء الأزهر بمقتل كليبر، فذهب الجنرال مينو، الذي تولى قيادة الحملة بعد كليبر، مع بعض أركان قيادته، وطافوا بالأزهر الشريف، وشرعوا في الحفر فيه، بحجة البحث على السلاح، فلما رأى العلماء أن الأزهر أصبح عرضه للريبة، عرضوا على الفرنسيين إغلاقه، مؤقتًا، وقد كان (٧٧).

في ١٨ أكتوبر / تشرين الأول ١٨٠١، أبحر الجنرال مينو من الإسكندرية، متجهًا إلى فرنسا، باعتباره آخر أفراد حملة بونابرت على الشرق.

وبذا أسدل الستار على الحملة الفرنسية برمتها، سواء منها ما جعل مصر وجهته، أو ما حاول غزو فلسطين، من بعد.

* * *

مراجع الفصل العشرون

- (١) عبد الوهاب كيالي، **المطامع الصهيونية التوسعية**، سلسلة "دراسات فلسطينية" (٣)، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٦، ص ١١ - ١٢.
- (٢) عبد الوهاب محمد المسيري، **موسوعة اليهود والصهيونية**، الجزء الرابع، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.
- (*) **الغيتو: مفرد "غتوات"**، وهي أحياء اليهود المسورة، والمغلقي، وقد عمّت أقطار أوروبا كلها، قبل أن تنهار تحت ضربات الثورة البورجوازية، هنا وهناك.
- (٣) م. محمد حسن، **موسوعة القدس**، (اسطوانة)، شركة سفير، القاهرة.
- (٤) جاك فريمو، فرنسا والإسلام، ترجمة هاشم صالح، دار الأرض للنشر، نوقوسيا، ط ١، ١٩٩١، ص ٣٢.
- (٥) عبد الرحمن الرافعي، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم**، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مكتبة الأسرة، ١٩٩٨، ص ٦٦.
- (٦) ج. كرسنوفر هيرولد، **بونابرت في مصر**، ترجمة فؤاد اندراوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٣ - ١٤.
- (٧) محمد حسنين هيكل، **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ط ٩، ص ٣٥ - ٣٦.
- (٨) فريمو، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٢.
- (٩) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٦ - ٣٨.
- (١٠) د. عبد الوهاب المسيري، **اليد الخفية دراسة الحركات اليهودية الهدامة والسرية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠، ص ٢٥٨.
- (١١) الرافعي، **الجزء الأول**، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٦.
- (١٢) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٠ - ٣١.
- (١٣) د. ليلي عنان، **الحملة الفرنسية تشوير أم تزوير؟**، دار الهلال، القاهرة، العدد ٥٦٧، ١٩٩٨، ص ١٥٤.
- (١٤) روبرت سوليه، **مصر ولع فرنسي**، ترجمة لطفي فرج، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩، ص ٣٣ - ٣٧.
- (١٥) هيكل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣١ - ٣٢.
- (١٦) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح، **تاريخ فلسطين**، مطبعة القدس، القدس، ١٩٢٣، ص ٢٤٠.
- (١٧) نادر العطار، **تاريخ سورية في العصور الحديثة**، بور حكم السلاطين الفعلي في العهد

- العثماني (١٥١٦ - ١٩٠٨)، مطبعة الإنشاء، دمشق د. ت، ص ١٢٥ - ١٢٧.
- (١٨) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٩٠ (د. عبدالكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيين (١) من مطلع القرن العاشر الهجري / السادس الميلادي إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، ص ٧١٩ - ٧٢٠).
- (١٩) المصدر نفسه، ص ٧٢١.
- (٢٠) صلاح عيسى، حكايات من دفتر الوطن، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨، ص ٨٠ - ٨١.
- (٢١) العطار، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.
- (٢٢) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢١.
- (٢٣) العطار، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨، ١٢٩.
- (٢٤) محمد قنديل النقلي، المختار من تاريخ الجبرتي، الجزء الثالث، مطبع الشعب، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.
- (٢٥) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢١.
- (٢٦) النقلي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢.
- (٢٧) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢١.
- (٢٨) النقلي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٣.
- (٢٩) العطار، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٠ - ١٣١.
- (٣٠) عيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٨١ - ٨٣.
- (٣١) عبد الرحمن الرافعي، مصر في مواجهة الحملة الفرنسية، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٤٣.
- (٣٢) البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤.
- (٣٣) هيكل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨ - ٣٠.
- (٣٤) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمه أحمد عبدالعزيز، سلسلة "عالم المعرفة"، الكويت، ١٩٨٥، ص ١٠٧ - ١٠٨.
- (٣٥) هيكل، مصدر سبق ذكره، ص ٣١ - ٣٤.
- (٣٦) الشريف، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦ - ١٠٧.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ١٠٨ - ١٠٩.
- (٣٨) كياي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.
- (٣٩) د. فلييب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الثاني، ترجمة د. كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.
- (٤٠) البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.
- (٤١) العطار، مرجع سبق ذكره، ص ١١٨.
- (٤٢) البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٩.

- (*) ميخائيل شاققة أحد مؤرخي هذه الحقبة.
- (٤٣) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٩.
- (٤٤) ربيع فواز، والى عكا أحمد باشا الجزار (١٧٢٠ - ١٨٠٤) بعيدًا عن رسائل القناصل الفرنسيين ومذكراتهم، الحياة (لندن)، ٢٠٠١/٦/٢٣.
- (٤٥) العطار، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤ - ١٣٢.
- (٤٦) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢٣.
- (٤٧) البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ٢٤٩.
- (٤٨) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢٣.
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ٧٢٤.
- (٥٠) المصدر نفسه، ص ٧٢٥.
- (٥١) البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.
- (٥٢) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢٦.
- (٥٣) العطار، مصدر سبق ذكره، ١٣٥ - ١٥٤.
- (٥٤) النقلي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٨ - ٣١٩.
- (٥٥) عيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.
- (٥٦) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢٦ - ٧٢٧.
- (٥٧) سوليه، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦ - ٤٨.
- (٥٨) عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠، ص ٨٠.
- (٥٩) عيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤ - ٦٥.
- (٦٠) الرافعي، مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني، ص ٩٥.
- (٦١) محمد جلال كشك، ودخلت الخيل الأزهر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٧٥.
- (٦٢) عيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٧.
- (٦٣) المصدر نفسه، ص ٧٨ - ٨٩ - ٩١ - ٩٢ - ٩٩.
- (٦٤) الرافعي، مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني، ص ١٥٦ - ١٥٧.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص ١٦١ - ١٦٢.
- (٦٦) شوقي أبو خليل، الإسلام وحركات التحرر العربية، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٩٩١، ص ٣١ - ٣٣.
- (٦٧) الرافعي، مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني، ص ١٦٢ - ١٦٣.
- (٦٨) عيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦ - ٧٩.
- (*) با رتليمي هو مسيحي بولاني مشرقي، انضم للفرنسيين، وقد كلف بالأعمال الخسيسة، وكان محافظ القاهرة، في ذلك الوقت.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٩٣ - ٩٩.

(٧٠) أبو خليل، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

(٧١) كشك، مصدر سبق ذكره، ٣٧٥.

(٧٢) الرافعي، مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني، ص ١٧٢.

* * *